تجلياتَ القَراءةَ الشعريةَ في نقد محمد بنيس

الأستاذة قرقرى بدرة
كلية الآداب واللغات والفنون
جامعة جيلالي ليابس–سيدي بلعباس

ارتبط مفهوم الشعرية بلفظة الشعر، وهو نابع منها وكامن فيها عبر التاريخ حيث تعود أصول تواجد هذا المفهوم إلى كتاب الشعر لأرسطو الذي اعتمد نظريته المحاكاة كأساس نظري لشعريته التي كان يحلو للكثير تسميتها شعرية المحاكاة التي قعد لها أرسطو، ويبتغي منها أن تكون مدعاة (للتطهير) وأنموذجا للمجتمع المثالي الذي تتطلع إليه الحضارة اليونانية وإن أتينا إلى ما يميز " الشعر لوجدناه يعتمد مبدأ التخييل الذي يعد جوهره الأساسي بحيث يزوده بصفة الحسية والشعور بالمدركات التي أعيد تشكلها".[1]

فشعرية النص من هذا المنطلق تعني كل ما يحسن اللغة العادية ويجعل منها قطعة شعرية جذابة ومؤثرة، ذات وقع خاص على النفس، وهي كذلك ما يصنع في النص فرادة العمل الأدبي أي اكتساب الأعمال الأدبية خصائص فريدة من نوعها يمكن أن تكون في اللغة وتراكيبها نحوا أو صرفا أو بلاغة أو في استعمالها للوصف أو في توظيفها لخصائص الجنس الأدبي أو في الخصائص الفنية للنص وغيرها..... فتكتسب النص خاصية تميزه عن غيره من الكتابات الإبداعية فهذه الصورة الفريدة نسميها شعرية النص.

وقد حدد رومان ياكسون ذلك:" إذ تتجلى في كون الكلمة تدرك بوصفها كلمة وليست مجرد الشيء المسمى ولا انبثاق للانفعال، وتتجلى في كون الكلمات وتراكيبها ودلالتها وشكلها الخارجي والداخلي ليست مجرد إمارات مختلفة عن الواقع بل لها وزنها الخاص وقيمتها الخاصة"[2].

ويؤكد على هذا التعريف تودوروف :" لقد رأينا منذ البداية أن الشعرية تحدد من حيث هي علم الأدب وهي في ذلك مغايرة للفاعلية التأويلية للأعمال الفردية التي لها سمة الأدب ولكنها ليست بحلم" [3] ويضيف "لقد أطلق ياكسون سنة 1919 هذه المقولة التي أصبحت منذ ذلك شهيرة ليس موضوع العلم الأدبي هو الأدب، وإنما الأدبية أي ما يجعل من عمل معين عملا أدبيا"[4].

فالشعرية أو الأدبية بحسب رومان ياكسون تمكن الخطاب الأدبي من تجاوز الأعمال الأدبية العادية ليخترق حدود المعتاد ليوصل النص الأدبي إلى حدود الانفتاح من خلال وظائفها التأثيرية والجمالية والانفعالية.

شعرية محمد بنيس:

يعتبر " محمد بنيس" الناقد المغربي الذي أثار مكامن جديدة في النص وبالخصوص في الشعر المغربي، الذي نظر إليه نظرة مزج بين السياق والنسق وذلك من خلال مؤلفه (ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب) وقد اعتمد المنهج البنيوي التكويني كقراءة تكوينية أهم ميزة فيها هو الأعمال الإبداعية والأدبية، التي تقوم عليها تستفيد من ما يتطلبه المنهج فهذه القراءة تعتمد على مبدأين أساسيين أحدها مكمل للآخر، فيتجسد الأول في القراءة

الداخلية للنص الأدبي والثاني يمس ما هو خارج النص ومرتبط به وقد أكد محمد بنيس على تجسيد هذا المنهج القراءة التكوينية التي بحث بها مكامن الشعرية وتمظهرها في العديد من النصوص الأدبية المغربية "واستنادا إلى هذه القناعة الجوهرية حاولت أن أرتبط بالقراءة التي تؤلف بين داخل المتن وخارجه، مستفيدا من البنيوية في الكشف عن قوانين البنيات الدالة ومن المادة التاريخية الجدلية في تفسيرها لطبيعة هذه البنيات ووظفيتها الجمالية، والاجتماعية عملا بنصيحة تروتسكي في نقده لشكلانيين الروس ومعتمدا على البنيوية التكوينية "[5] وبهذا فقد بحث محمد بنيس عن شعرية النصوص الشعرية المغربية بتبنيه المنهج التكويني.

فمحمد بنيس يرى أن النص لايقتصر فقط على اللغة: بل هو مرتبط بصاحب النص ومحيطه الاجتماعي وفكره وثقافته، وبالتالي فالنص يحمل لنا رؤية للعالم وهذه الرؤية متصلة بشكل مباشر بصاحب النص،

" فلقد اقتنعت مرحليا بالبنيوية التكوينية كجواب مركزي على منهج القراءة، حيث أنّ كل قراءة علمية بنيوية تكوينية للنص الأدبي يجب أن تتم من داخل المجتمع ما دام الفكر والابداع جزء من الحياة الاجتماعية وما دامت للنص الأدبي وظيفة اجتماعية، إن هو جواب فرد ينتهي الضرورة لفئة اجتماعية محددة تاريخيا يهدف إلى تغيير وضعية معطاة قي اتجاه طموحات الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها"[6].

فخطى محمد بنيس أثناء بحث عن شعرية النصوص الأدبية المغاربية خطوات اعتمدت على التأني في اعتماد المنهج "فخص الباب الأول للقراءة

الداخلية للمتن الشعري عن طريق تفكيك المتن إلى البنية السطحية التي تشتمل بنيات الزمان والمكان، وبلاغة المضمون والبحث عن البنية العميقة، أما في الباب الثاني فقد وضعه لقراءة المجال الأول من البنيات الخارجية للمتن، وهو الحال الثقافي والشعري، أما في الباب الثالث فقد تطرق إلى إدخال كل من البنية الداخلية للمتن والخارجية الثقافية والشعرية أي بنية أكثر اتساعا، وهي الاجتماعية والتاريخية، واشتمل هذا الباب على الواقع الاجتماعي التاريخي للبرجوازية المغربية ثم المقارنة بين قراءة المتن للواقع نفسه"[7]وهذه الخطوات كانت ذات التوفيق في الكثير منها في المقاربة التي اتخذها محمد بنيس أثناء بحثه عن تشكل شعرية النصوص الأدبية.

فقد بحث في المتون الشعرية عن سر خلودها في ملازمة البحث فيها وارتباط بما يحيط الشاعر أو الظروف الخارجية للنص والجمع بين ثنائية الداخل الخارج، "إنّ كل إهمال لهذا الخارج بمفهومه التاريخي الجدلي يعد محاولة تشخيص هذه الظاهرة الشعرية المتميزة في تاريخنا المعاصر هو قمة السقوط في الوهم ومن ثم فإن القراءة الواعية للمتن لايمكن أن تكون موضوعية وعلمية إلا إذا أدخلت هذه البنيات الداخلية الدالة للمتن في إطار الصراع الاجتماعي والصيرورة التاريخية" [8] وهو يبعد المنهج الذي تتبناه البنيوي التكويني عن قواعد وقوانين النظرة الماركسية يمكن أن تثير اللبس وتصعب التمييز بين المعلومات الصحيحة أو الخاطئة وعلى هذا الأساس يقول:" أننا عندما نتعرض للعلاقة الموجودة بين العالم الشعري والعالم الواقعي تكون في مواجهة الواقع الاجتماعي وبالتالي الدراسة الاجتماعية أي هناك نقطة أساسية لايمكن التغافل عنها وهي أن العمل الأدبي ليس تجربة اجتماعية

فقط، ولكنه تجربة إنطولوجية كذلك كمفهوم ميتافيزيقي ولكن لتجربة ذاتية محددة هي الأخرى بشروط اجتماعية تاريخية".[9]

لقد انتقل محمد بنيس في هذه القراءة إلى التبعية أي أن تكون محاولة للكشف على تمظهر الجمال الشعري الغير الخاضع لأي منهج انطباعي مثل الماركسي وربط فرادة الحدث الأدبي في النصوص الشعرية المغاربية بمنهج يبحث في داخل النص وسر تجانس الألفاظ والعبارات وارتباط ذلك بالظروف الخارجية ومحدثاتها التي يمكن أن تؤثر على النص إما تعثره أو تصوبه.

وبهذا يكون محمد بنيس قد أضاف للدراسات النقدية الأدبية متنا ورؤية يمكن أن تكشف منهجا آخر يمكن المضي عبره أو اتخاذه كدليل للبحث عن شعريات النصوص الأدبية والسر في إنفرادها بجماليات خاصة.

الهوامش

[1] إحسان عباس : فن الشعر، (د،ن) بيروت، **1959** ،ص **210**

[2] رومان ياكسون: قضايا الشعرية، ت: محمد ا الوالي ومبارك حنون، ط**1** ،ص **19** ، سلسلة المعرفة الأدبية، **1988**

[3] ت. تودوروف: الشعرية، ت شكري المبخوت ورجاء سلامة ، ط**1**، دار توبال، **1987** ،المغرب ، ص **24**

[4] ت. تودوروف : المصدر السابق ، الصفحة السابقة

[5] محمد بنيس : ظاهرة العر المعاصر في المغرب (مقاربة تكوينية) دار العودة ، ط**1**، بيروت، **1979**

[6] محمد بنيس: المرجع نفسه ،ص **12**

[7] محمد بنيس : ظاهرة الشعر العربي المعاصر(مقاربة تكوينية) ،ص **28**

[8] محمد بنيس: المرجع نفسه ،ص **334/333**

[9] محمد بنيس: المرجع نفسه،ص **335**